التفكير السليم وحدود معرفة الله
في نهج البلاغة

Common Sense and The Limits of Human Knowledge
Concerning Allah in Nahjul-Balagha

الباحث صلاح صبحي عبد
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
هيئة البحث العلمي

by Salah Subhi Abid
Ministry of Higher Education and Scientific Research
Scientific Research Authority

ملخص البحث

إن الذات الإلهية المقدسة كاملة من أي نقص، وهي غير متناهية وجودا. ولا تخضع لأيِّ قيدٍ أو قياس. وما يلزم هذا الوجود هو الوجوب والوحدة. والوحدة أعظم صفة من صفات الله عز وجل، وهذه الوحدة لا يقابلها إمكان التعددية وتمتاز هذه الوحدة بالثبات والسعة والإحاطة. وفي هذا البحث بيَّنا صفات التوحيد، والحدود التي يتم عنها الخوض في معرفة الله تعالى؛ لأن معرفة حقيقة الذات الإلهية وكنهه مستحيلة؛ لأنه دل على ذاته وقدرته من خلال مخلوقاته، وتناولنا الوحدانية في الإحاطة والسعة والصمدية والقوة والسلطان والديمومة والثبات، وتم إثبات أن جميع الموجودات وإن امتلكت بعض الصفات لكن تملكها جزئي وليس كاملًا، فأصبح من الممكن أن تتجلّى هذه الموجودات والإحساس والشعور بها عن طريق الحواس، لكن الوجود الكامل الذي يمتاز بالثبات والاستطاعة والقدرة والديمومة والصمدية التي لا تقبل التجزئة والتركيب لا يمكن أن تتجلّى لخلقه؛ لاستحالة استيعاب تجلّيه من قبل الموجودات الأخرى؛ لأنها فاقدة إلى عناصر تحمل التجلّي.

إن عملية التفكير لها أسباب ومقدمات، وللفرد طاقات وإدراكات محدودة، وعند استخدام آلية التفكير بشيء يفوق قدراته العقلية قد يسبب وقوعه بالوهم وانحراف الفكر عن مساره الصحيح إذا لم تكن المقدمات صحيحة. وإن طاقات الإنسان الكامنة أودعها الله تعالى لمنفعة الإنسان نفسه، وجعل له الآيات والآفاق برهانًا لتوحيده. وعندما يجمع الإنسان تلك الطاقات الذهنية الاستدلالية ويتوجه نحو الخلق ووجوده، فإنَّه يحصل على نتائج عدة مترابطة بأحقية الخلق وحكمة وعظمة ووحدانية الخالق. كما أن عملية التفكير في صفات الله وذاته على الرغم من أنها صعبة المنال، لكن قد يقع الإنسان بانحراف العقيدة والفكر ما لم يكن التفكر بالتدبر والتأمل والنظر، فإن القلوب قبل التفكر تكون غافلة، وإن التفكّر في كنه الذات الإلهية مستحيل؛ لأنه يمتنع على المحدود أن يحيط علمه بالمطلق الثابت.

قمنا في هذا البحث ببيان التفكير السليم وأنواعه وأهميته وتدرجه في نهج البلاغة، وفي هذا البحث تمت الاستعانة بآراء العلماء في التخصصات التربوية والنفسية وكذلك العلوم الإنسانية، والوقوف عند آرائهم حول التفكير السليم وآلياته.

تم في هذا البحث التعريف اللغوي والاصطلاحي لنهج البلاغة ولمعنى التفكير في المعاجم اللغوية.

الكلمات المفتاحية: نهج البلاغة، التفكير، الديمومة، الاستطاعة.

Abstract

Truth is that Divine Self is whole, oneness of Allah is the greatest because attributes of him. In this research we dealt with oneness attributes, Knowing the truth about Divine self is impossible as Allah shows hisself and power through his creatures. The process of thinking has reasons and intros and every individual has limited realizations and capacity, hence when he thinks beyond his mental capacity, he may get caught up in illusion if the intros incorrect. Allah has granted every human being abundant energy for the benefit of him, and has made signs as assurance of oneness.

In our research, we investigate the Types and importance Common Sense in Nahjul-Balagha, Scientists opinions about common sense and its mechanisms are used.

Keywords: NahjulBalagha, Thinking

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والحمد لله حمدًا كما يستحقه، الذي أنعم على عباده بنِعَمٍ جليَّة وواضحة، الذي لا تحصى نعماؤه على عباده مهما اجتهد فيه المجتهدون وتعجز الألسن عن حمده وشكره، اللهم واجعل صلواتك وبركاتك الدائمة سرمداً لا ينقطع أبدًا على خير مَنْ خَلَقْتَ وصفوة من اجتبيت وحجتك على خلقك ومبلّغ رسالاتك والحامل لأمانتك عبدك ورسولك والخاتم لرسالاتك، وعلى آله الكرام الذين جعلتهم عِدْلًا لكتابك ومنارًا للعلم ودعائم للدين، والدافعين عن المؤمنين والمبينين ما خفي من شريعتك بعد رسولك الأمين صلواتك عليهم أجمعين.

إن موضوع البحث سيقوم على دراسة موضوع تربوي ـنفسيـ عقائدي من صميم متطلبات الحياة الإنسانية للفرد والمجتمع الإسلامي، وسنقوم فيه بدراسة عملية التفكير السليم وحدود معرفة الله في نهج البلاغة، وطالما أكدت الشريعة المقدسة وحاملو لوائها على أهمية التفكير وبيان التوحيد والعوائق التي تكون سببًا في تقييد العقل ومنعه من استخدام طاقاته التي وهبها الله عزوجل إلى الفرد ليكون فردًا مؤثرًا وفاعلًا في مجتمعه.

ونقصد بالتفكير السليم تشخيص جميع المعوقات المادية أو المعنوية التي تعيق أو تحرف أو تمنع تحقق التفكير الصحيح، وتكون سببًا في انحراف عقيدة الفرد نفسه، وغالبا ما تكون خارجية مفروضة من التقاليد والأعراف والتسلط السياسي وغير

ذلك. وسنحاول في هذا البحث عن طريق نصوص نهج البلاغة وشروحه رصد واستقراء أنواع التفكير وتدرجه والتعرف على مصاديقه من خلال بحث موضوعي علمي أكاديمي يمر بمراحل تصورية للتعريف بالتفكير وتدرجه وصفات التوحيد من منظار النهج الشريف. ومن فرضيات البحث أن التفكير عملية طبيعية يقوم بها الإنسان إلّا أنها مهارة تحتاج إلى التطوير، وعدَّ نهج البلاغة التفكير فريضة إسلامية. إن التفكير السليم ومقدماته الصحيحة بصفات التوحيد ومقدمات العقائد يؤدي بالفرد أن يكون إنسانًا فاعلًا متزنًا واسع الأفق لإيمانه بأنه لا يوجد مؤثر في هذا الكون سوى الله عزوجل.

في هذا البحث تناولنا أنواع التفكير السليم ومجالاته وتدرجه وأهم صفات التوحيد التي تساهم بالنمو المعرفي لدى الإنسان ومن ثَمَّ ينعكس إيجابًا على تطور الفرد والمجتمع وهو يعد ضربًا من العبادة.

وسنعتمد على المنهج الاستقرائي من أجل البحث عن الأدلة وشواهدها من كتب التفسير وشروح النهج، وتلك الأدلة منهجها أيضا استدلالي، ويكون البحث فيها أساسي، فهو يهدف إلى إنتاج معرفي لأصل مهم في القرآن ونهج البلاغة وتوسعي لأنه يستند إلى معرفة علمية.

تمهيد

إن دراسة التفكير في نهج البلاغة تكمن أهميته في بيان أن التمسك بتوجيهات الإمام المعصوم الذي هو

عدل القرآن ينهض بالأمة الإسلامية ويرتقي بها خلافًا لما يشاع بأن سبب تخلف الأمة هو تمسكها بالتقليد الأعمى. إن الاهتمام بالتفكير والتأمل والنظر في الآيات الكونية والأنفسية والآفاقية والحوادث والسنن الاجتماعية تكون نتيجته تنمية العقل الإنساني وإدراكه. وقد دعا الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) الناس دعوة صريحة إلى التفكير، فقد حث الله تعالى الإنسان على ممارسة مهارة التفكير والنظر في الكون والتأمل في الظواهر الكونية المختلفة، قال تعالى ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1]. وقال أمير المؤمنين (عليه السلام) «فَسَوَّى مِنْهُ سَبْعَ سَمواتٍ، جَعَلَ سُفْلاَهُنَّ مَوْجاً مَكْفُوفاً، وَعُلْيَاهُنَّ سَقْفاً مَحْفُوظاً، وَسَمْكاً مَرْفُوعاً، بِغَيْرِ عَمَدٍ يَدْعَمُهَا، وَلا دِسَارٍ يَنْظِمُهَا. ثُمَّ زَيَّنَهَا بِزِينَةِ الكَوَاكِبِ، وَضِيَاءِ الثَّوَاقِبِ، وَأَجْرَى فِيهَا سِرَاجاً مُسْتَطِيراً، وَقَمَراً مُنِيراً: فِي فَلَكٍ دَائِرٍ، وَسَقْفٍ سَائِرٍ، وَرَقِيمٍ مَائِرٍ»[2]. كما حثَّ الإنسان على تحصيل العلم ومعرفة سنن الله وقوانينه في جميع ميادين العلوم المختلفة، قال تعالى ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾[3]. وقال سيّد الموحدين «اِبْتَدَعَهُمْ خَلْقاً عَجِيباً مِنْ حَيَوَانٍ وَمَوَاتٍ، وَسَاكِنٍ وَذِي حَرَكَاتٍ، وَأَقَامَ مِنْ شَوَاهِدِ الْبَيِّنَاتِ عَلَى لَطِيفِ صَنْعَتِهِ، وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ، مَا اِنْقَادَتْ لَهُ الْعُقُولُ مُعْتَرِفَةً بِهِ، وَمَسَلِّمَةً لَهُ، وَنَعَقَتْ فِي أَسْمَاعِنَا دَلاَئِلُهُ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ»[4]. ولم

يحث القرآن ونهج البلاغة الإنسان على التفكير والبحث العلمي في الظواهر الطبيعية فقط، وإنما حثه أيضاً على التفكير في نفسه وفي أسرار تكوينه البيولوجي والنفسي، وهو بذلك يدعوه إلى ارتياد جميع ميادين العلوم، قال تعالى ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾[٥]. وجاء في نهج البلاغة: «ثُمَّ جَمَعَ سُبْحَانَهُ مِنْ حَزْنِ الاَرْضِ وَسَهْلِهَا، وَعَذْبِهَا وَسَبَخِهَا، تُرْبَةً سَنَّهَا بِالْمَاءِ حَتَّى خَلَصَتْ، وَلاَطَهَا بِالْبَلَّةِ حَتَّى لَزَبَتْ، فَجَبَلَ مِنْهَا صُورَةً ذَاتَ أَحْنَاءٍ وَوُصُولٍ، وَأَعْضَاءٍ وَفُصُولاً أَجْمَدَهَا حَتَّى اسْتَمْسَكَتْ، وَأَصْلَدَهَا حَتَّى صَلْصَلَتْ، لِوَقْتٍ مَعْدُودٍ، وَأَجَلٍ مَعْلُومٍ، ثُمَّ نَفَخَ فِيهَا مِنْ رُوحِهِ فَمَثُلَتْ إِنْساناً ذَا أَذْهَانٍ يُجِيلُهَا، وَفِكَرٍ يَتَصَرَّفُ بِهَا، وَجَوَارِحَ يَخْتَدِمُهَا، وأَدَوَاتٍ يُقَلِّبُهَا، وَمَعْرِفَةٍ يَفْرُقُ بِهَا بَيْنَ الحَقِّ وَالبَاطِلِ، والاَذْوَاقِ والمَشَامِّ، وَالاَلْوَانِ وَالاَجْنَاسِ، مَعْجُوناً بِطِينَةِ الاَلْوَانِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَالاَشْبَاهِ الْمُؤْتَلِفَةِ، وَالاَضْدَادِ الْمُتَعَادِيَةِ، والاَخْلاطِ الْمُتَبَايِنَةِ، مِنَ الحَرِّ والبَرْدِ، وَالبَلَّةِ وَالْجُمُودِ، وَالْمُسَاءَةِ وَالسُّرُورِ»[٦].

فجعل قابلية الإنسان على حلّ المشاكل واستنباط النتائج والكليات واستخراجها وتأطيرها ممَّا يجعل الفرد المسلم عنصرًا فاعلًا في النهوض بالأمة الإسلامية وجعلها أمة حضارية مؤمنة متيقنة "لا يستطيع أي إنسان مهما بلغ من النضج أن يكون مستقلًّا تمام الاستقلال، وهذا من جملة القصور المستولي على البشر لكن على من يريد أن يكون مفكّرًا أن يدرك أن عليه أن يبذل جهدًا

متواصلًا في بناء عقلية متحررة من كثير من القيود التي يواجهها في حياته"[٧]. وأيضًا تظهر أهمية دراسة التفكير السليم في نهج البلاغة في أنها تكون لإثبات أن التفكير السليم أحد الأصول الفكرية الذي تناولته روايات المعصومين (عليهم السلام) وحثت على ممارسته على وفق الضوابط الشرعية والعقلية، لذا يجدر بنا عند دراسة التفكير الوقوف على تعاريفه المتعددة التي تتعلق بالإنسان وتعريف نهج البلاغة صفوة كلام المعصوم (عليه السلام) الذي هو عدل القرآن الكريم.

المبحث الأول: التعريفات

أولًا: تعريف نهج البلاغة

لم يتم العثور في القواميس العربية على تعريف لغوي لمصطلح نهج البلاغة إلّا في حالة تجزئة المصطلح إلى مفردتين، ويكون التعريف خارجًا عن المحتوى والمفهوم الأساسي لمعنى نهج البلاغة، ولذلك سيتم تناول المعنى الاصطلاحي له.

قام بتأليف هذا الكتاب العلّامة الشريف الرضي الذي أستطاع فيه أن يجمع بعضًا من خطب وحكم ومواعظ الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) حتى أصبح كتاب نهج البلاغة من أوائل الكتب الموسوعية في علم البلاغة، كما تتنوع موضوعات هذا الكتاب بين معارف راقية في التوحيد والنصائح والمواعظ مع تحليلات للأحداث السياسية والاجتماعية ولكن الأقسام الأساسية هي الخطب والكتب والحكم.

ثانيا: تعريف التفكير

١- التفكير لغة:

قال الجوهري: "التفكر، والتأمل.

والاسم الفكر والفكرة"[٨].

وقال ابن فارس: "فكر: الفاء والكاف والراء تردّد القلب في الشيء، يقال: تفكر إذا ردّد قلبه معتبرا"[٩].

وفي اللسان: "الفَكر بالفتح والفِكر بالكسر: إعمال الخاطر في الشيء"[١٠].

وفي المصباح: "الفِكر بالكسر تردّد القلب بالنظر والتدبّر لطلب المعاني، ولي في الأمر فكر أي نظر وروية"[١١].

وفي القاموس "الفكر بالكسر ويفتح: إعمال النظر في الشيء، كالفِكرة والفِكرى بكسرهما، والجمع: أفكار"[١٢].

وفي المعجم الوسيط "فكر في الأمر فكرًا أعمل العقل فيه ورتب بعض ما يعلم ليصل فيه إلى المجهول. (أفكر) في الأمر: فكر فيه فهو مفكر. (فكر) في الأمر: مبالغة في فكر وفكر في المشكلة: أعمل عقله فيها ليتوصل إلى حلها، فهو مفكر"[١٣].

ويمكن القول إن التعريف اللغوي الجامع للتفكير بأنه عمل داخل العقل يرتب حسب الأولويات لحل إشكال معين عن نظر وروية.

٢- التفكير اصطلاحًا:

إن التفكير كمفردة يصعب تحديد تعريف اصطلاحي لها؛ لأن دلالاتها متشعبة في السلوك والمواقف المختلفة، ولذلك من الصعوبة تحديد مفهوم معين للتفكير أو اختيار تعريف معين يحدد أهدافه ونوعيته ووسائل التفكير ونتائجه، لذلك سنتعرض إلى عدد من التعريفات.

عرفه بعضهم: "هو عبارة عن سلسلة من النشاطات العقلية التي يقوم بها الدماغ عندما يتعرض لمثير يتم استقباله عن طريق الحواس

الخمس (اللمس والبصر والسمع والشم والذوق)"[١٤].

وقال الدكتور جروان في تعليم التفكير: إن التفكير بمعناه الواسع "عملية بحث عن معنى من الموقف أو الخبر، وقد يكون هذا المعنى ظاهرًا حينًا وغامضًا حينًا آخر"[١٥].

وذكر زهير الكرمي في الإنسان والتعليم: "هو نشاط عقلي يقوم به العقل والذاكرة لحل مشكلة أو إبداع جديد باستغلال المعطيات والمخزون في الذاكرة"[١٦].

والقصد من ذلك أنه ليس من الضروري أن يصل التفكير دائمًا إلى حل المشكلة وتفسيرها والموقف الذي استثاره، وقد يعزى سبب ذلك إلى الحاجة لوجود تفصيلات أخرى، أو أن الأمر المراد فهمه خارج قدرة العقل على التصور والاستيعاب مثل بعض الأمور الغيبية، وقد يكون لأسباب أخرى.

وذكر الدكتور زكريا فؤاد في التفكير العلمي: "إن التفكير هو التفكير المنظم المبني على مجموعة من المبادئ التي نطبقها في كل لحظة دون أن نشعر بها شعورًا واعيًا، مثل مبدأ استحالة تأكيد الشيء ونقيضه في آن واحد والمبدأ القائل أن لكل حادث سببًا، وأن من المحال أن يحدث شيء من لا شيء"[١٧].

وتابع قائلًا: "هو النظر إلى الأمور بالاعتماد على العقل والبرهان المقنع بالتجربة أو الدليل"[١٨].

و"التفكير هو كل نشاط عقلي أدواته الرموز، أي يستعيض عن الأشياء والأشخاص والموقف والأحداث برموزها بدلًا من معالجتها معالجة فعلية واقعية"[١٩].

وممَّا تقدَّم فإن التفكير هو المهارة التي يستخدمها الإنسان بالاعتماد على عقله السليم الذي يكون متحررًا من الموانع الداخلية والخارجية التي تشكل عائقًا أمام تنمية تفكيره، والتي تمنعه من الوصول إلى الهدف النهائي والعلة الغائية وهي اليقين والإيمان المطلق بالله تعالى، وتكون نتيجته عن طريق التدبر والتأمل هي الهداية، وتكون له ثمرة علمية ويكون تفكيرًا سليمًا وصحيحًا.

ومن التعاريف اللغوية والاصطلاحية لمفهوم التفكير تم التوصل إلى:

١- إن التفكير يبدأ نتيجة لحدوث طارئ ما يستفز العقل.

٢- يسعى العقل عن طريق مهارة التفكير لإيجاد الحلول لمشكلة ما.

٣- التفكير نشاط عقلي وذهني.

٤- يعمل بخطوات متسلسلة و منتظمة.

٥- الاعتماد على الأسس الصحيحة والتخلص من الموانع التي تعيق التفكير، ومن ثمَّ يكون التفكير صحيحًا، وله ثمرة علمية، ونتيجته الهداية والوصول إلى العلة الغائية التي من أجلها خلق الإنسان.

المبحث الثاني: التفكير السليم في نهج البلاغة

أولًا: مجالات التفكير السليم:

أولى الإمام علي (عليه السلام) اهتماماً بالغاً بمسألة إعمال العقل من قبل الإنسان، و"المرتبة العقلية وهي الإدراك الكلي للأشياء المجردة عن الجسمية وعوارضها المادية، فهي إدراك للمعنى والوصف بنحو عام كالإنسان لا الصورة بنحو شخصي كهذا إنسان أو ذاك، وينقسم العلم

الحصولي في مرتبته العقلية إلى تصور وتصديق"[٢٠]. وذلك لكي يتمكن من إدراك السنن والقوانين في الحوادث والاعتبار بها، "ومن هنا كانت عملية الكسب المعرفي، والتي تعرف باسم التفكير، من أخطر الممارسات الإنسانية وأهمّها بالنسبة له، لكونه يفعل باختياره. والفعل الاختياري ينشأ من مبادئ وتصورات مرتسمة في ذهنه قد اكتسبها بعملية التفكير التي مر بيانها، فهو يبني دنيا هو يتحرك نحو آخرته على ضوء تلك المعلومات"[٢١]، وورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام) «**رُبَّ عَالِمٍ قَدْ قَتَلَهُ جَهْلُهُ، وَعِلْمُهُ مَعَهُ لاَ يَنْفَعُهُ**»[٢٢]، فالمجالات التي يدعو إليها العقل إلى التفكير فيها هي على النحو الآتي:

١- **السنن الاجتماعية**: يعد الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) من الشخصيات التي أكدت السنن الإلهية كما ذكرها في نهج البلاغة عن طريق خطبه وكتبه؛ إذ قال: «**إنّما أهلَكَ مَن كانَ قَبلَكُم أنَّهُم مَنَعُوا النـاسَ الحَـقَّ فاشتَرَوهُ وأخَذُوهُم بالباطِلِ فاقتَدَوهُ**»[٢٣]. إن لله تعالى سننًا اجتماعية ثابتة وضعها لتستقيم المجتمعات الإنسانية وتزدهر وتؤدي الدور المناط بها من الرقي والتكامل الإنساني وعدم الالتزام بتلك السنن يؤدي إلى انهيار هذه الأمم وضياع حضارتها على الرغم ممَّا تملكه من قوة، لذلك حذر الإمام (عليه السلام) من اتباع أخطاء الأمم السابقة والاعتبار بمصيرهم و"السنن جمع سنة، وهي الطريقة المسلوكة في المجتمع، والأمر بالسير في الأرض لمكان الاعتبار بآثار الماضين من الأمم الغابرة، والملوك والفراعنة

والطغاة حيث لم ينفعهم شواهق قصورهم، ولا ذخائر كنوزهم، ولا عروشهم ولا جموعهم، وقد جعلهم الله أحاديث يعتبر بها المعتبرون، ويتفكه بها المغفلون"[٢٤].

٢- **الآيات الكونية**: تضمن نهج البلاغة من الخطب الكثيرة التي فيها تحمل أمر التكليف بالتفكر وتحث على عمل العقل للوصول إلى الهدف الغائي والنهائي وهو الله تعالى وأن التأمل والتفكر في الكون وهو من أجمل وأعظم وأرقى العبادات التي تجعلنا نكتشف عظمة الخالق عز وجل، وبهذا يحث الناس على التفكر في هذا الخلق البديع والعظيم، ليفهم كل شخص بقدر استعداده وقدرته على الاستيعاب من هذا الكون العظيم الذي لا يدرك له نهاية، ويرتوي من منهل أسرار الخلق البديع. أنّ هذا الكون العظيم بما فيه من نظام متقن وبديع، ونقوش رائعة، ولوحات خلابة هو كتاب بالغ العظمة، في كل حرف من حروفه، وكل سطر من أسطره دليل ساطع على وجود الله الخالق المبدع ووحدانيته وتفرّده، ونهج البلاغة عندما حث الإنسان أن يعمل عقله في التأمل والتفكر بالآيات الكونية يجب أن يكون عقله مجردًا من كل الخلفيات الاجتماعية والعقائدية وجميع مخلفات الماضي لتكون النتيجة النهائية نتيجة علمية وموضوعية.

وذكر محمد راتب النابلسي في مقومات التفكير: "ويتفكرون فعل مضارع يفيد الخبر لكن الخبر يأتي في القرآن في معرض الإنشاء والأمر، أي أن المؤمنين من شأنهم التفكر في خلق السماوات والأرض، وهو

لازم من لوازمهم، وخصيصة من خصائصهم، وسمة من سماتهم"[٢٥].

واستطرد النابلسي: "وآيات الله الكونية وسننه والتي هي مجال التفكر والتفكير يمتد ليبدأ من المجرات والكواكب والمذنبات والأبراج والسماء والأرض وما فيها من جبال وأنهار وأسماك وأطيار وأنواع لا تحصى من النباتات"[٢٦]. قال أمير المؤمنين (عليه السلام) في التأمل والتفكر بالآيات الكونية: «اِبْتَدَعَهُمْ خَلْقاً عَجِيباً مِنْ حَيَوَانٍ وَمَوَاتٍ، وَسَاكِنٍ وَذِي حَرَكَاتٍ، وَأَقَامَ مِنْ شَوَاهِدِ اَلْبَيِّنَاتِ عَلَى لَطِيفِ صَنْعَتِهِ، وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ، مَا اِنْقَادَتْ لَهُ اَلْعُقُولُ مُعْتَرِفَةً بِهِ، وَمُسَلِّمَةً لَهُ، وَنَعَقَتْ فِي أَسْمَاعِنَا دَلاَئِلُهُ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ»[٢٧].

٣- **الآيات الأنفسية:** جاءت دعوة القرآن لتؤكد على الإنسان أن يقوم بمهارة التفكير في أقرب شيء إليه وهي النفس؛ إذ وضح أمير المؤمنين (عليه السلام) سر خلق الإنسان وكيفيته ليعطي الدليل على عظمة الصانع: «ثُمَّ جَمَعَ سُبْحَانَهُ مِنْ حَزْنِ الاَرْضِ وَسَهْلِهَا، وَعَذْبِهَا وَسَبَخِهَا، تُرْبَةً سَنَّهَا بالمَاءِ حَتَّى خَلَصَتْ، وَلاَطَهَا بِالبَلَّةِ حَتَّى لَزَبَتْ، فَجَبَلَ مِنْهَا صُورَةً ذَاتَ أَحْنَاء وَوُصُول، وَأَعْضَاء وَفُصُول أَجْمَدَهَا حَتَّى اسْتَمْسَكَتْ، وَأَصْلَدَهَا حَتَّى صَلْصَلَتْ، لِوَقْت مَعْدُود، وَأَجَل مَعْلُوم، ثُمَّ نَفَخَ فِيهَا مِنْ رُوحِهِ فَمَثُلَتْ إِنْساناً ذَا أَذْهَان يُجِيلُهَا، وَفِكَر يَتَصَرَّفُ بِهَا، وَجَوَارِحَ يَخْتَدِمُهَا، وَأَدَوَات يُقَلِّبُهَا، وَمَعْرِفَة يَفْرُقُ بِهَا بَيْنَ الحَقِّ وَالبَاطِلِ، والاَذْوَاقِ والمَشَامِّ، وَالاَلْوَانِ وَالاَجْنَاس، مَعْجُوناً بطِينَةِ الاَلْوَانِ المُخْتَلِفَةِ، وَالاَشْبَاهِ المُؤْتَلِفَةِ،

وَالاَضْـدَادِ الْمُتَعَادِيَـةِ، والاَخْـلاطِ الْمُتَبَايِنَـةِ، مِـنَ الحَـرِّ والـبَرْدِ، وَالبَلَّـةِ وَالجُمُـودِ، وَالْمُسـاءَةِ وَالـسُّرُورِ»[٢٨].

ثانيا: تدرج التفكير في نهج البلاغة

عنـد تتبـع نهـج البلاغـة واهتمامـه بقضيـة التفكـير نسـتنتج أن الإمـام (عليـه السـلام) اسـتخدم التـدرج بالارتقـاء بمسـتوى التفكـير الإنسـاني لكـي يصـل إلى أعـلى مسـتويات التدبـر والتأمـل ليصـل إلى مرحلـة الإيـمان المطلـق واليقـين بعظمـة الله (جـل وعـلا) وهـو العلـة الغائيـة ومبتغـى كل الموجـودات. فإن نهـج البلاغـة قـد بـدأ يحـث الإنسـان عـلى التأمـل والتدبـر والنظـر والتفكـير في الآيـات الكونيـة والآيـات الآفاقيـة التـي هـي أول مراحـل التفكـير واليقـين، فالتفكـير بالآيـات الكونيـة يجعـل الإنسـان مكلفًا بالتفكـر في هـذا الكـون بـكل مكوناتـه الـذي خلـق مـن أجـل أن يتوافـق مـع الإنسـان وبإمـكان كل التخصصـات أن تصـل إلى الهـدف الرئيـس عـن طريـق قـراءة الكـون ليصـل إلى الله، ومـن ثـم انتقـل نهـج البلاغـة ليحـث الإنسـان عـلى النظـر في السـنن التاريخيـة ليصـل إلى مرحلـة يعقلـون، وبعـد ذلـك انتقـل إلى الآيـات الأنفسـية التـي هـي أعظـم وأدق الطـرق في الوصـول إلى الله فـإن الطريـق إلى الله يمـر عـن طريـق معرفـة الله. ولذلـك يشـير إلى طريـق الآفـاق والأنفـس التـي تسـمى المعرفـة الآفاقيـة والمعرفـة الأنفسـية، فبعـض الخطـب تتحـدث عـن الآيـات الكونيـة مثـل الشـمس والقمـر والليـل والنهـار والظلـمات وغيرهـا والثانيـة تتحـدث عـن الإنسـان وبدنـه وروحـه وحواسـه كالسـمع والبـصر والشـم واللمـس وغيرهـا التـي تكـون الأداة

التي يمكن عن طريقها تحقق المعرفة الحسية للوجود الخارجي، وتعد إحدى أدوات التفكير فضلا عن العقل وتعني وجود مدبر عالم خبير وعظيم، ولكن عند تتبع رأي المحققين نجد أن الآيات الأنفسية أنفع وأجدى من المعرفة الآفاقية على الرغم من اشتراكهما بالهداية إلى الله تعالى؛ لأن التفكر في الآيات الآفاقية يحتاج إلى مقدمات وأدلة وبراهين لغرض الوصول إلى نتائج وتنتهي بزوال المقدمات. لكن التفكر والنظر والتأمل بالنفس ومتعلقاتها يبقى لأنه ثابت ولا يحتاج إلى مقدمات وأدلة؛ لأن مشاهدة عظمة الخالق فيها لا تحتاج إلى أدلة وبراهين "وكون السير الأنفسي أنفع من السير الآفاقي لعله لكون المعرفة النفسانية لا تنفك عادة من إصلاح أوصافها وأعمالها بخلاف المعرفة الآفاقية أن كون معرفة الآيات نافعة، إنما هو لأن معرفة الآيات بما هي آيات موصلة إلى معرفة الله سبحانه وأسمائه وصفاته وأفعاله، ككونه تعالى حيًّا لا يعرضه موت، وقادرًا لا يشوبه عجز، وعالمًا لا يخالطه جهل، وأنه تعالى هو الخالق لكل شيء، والمالك لكل شيء، والرب القائم على كل نفس ما كسبت، خلق الخلق لا لحاجة منه إليهم، بل لينعم عليهم بما استحقوه، ثم يجمعهم ليوم الجمع لا ريب فيه، ليجزي الذين أساؤوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى"[٢٩].

"فقد تحصل أن النظر في آيات الأنفس أنفس وأغلى قيمة وأنه هو المنتج لحقيقة المعرفة فحسب، وعلى هذا فعدَّه (عليه السلام) إياها أنفع المعرفتين لا معرفة متعينة إنما هو

لأن العامة من الناس قاصرون عن نيلها، وقد أطبق الكتاب والسنة وجرت السيرة الطاهرة النبوية وسيرة أهل بيته الطاهرين على قبول من آمن بالله عن نظر آفاقي وهو النظر الشائع بين المؤمنين، فالطريقان نافعان جميعا لكن النفع في طريق النفس أتم وأغزر. وفي الدرر والغرر، عن علي (عليه السلام) قال: «العارِفُ مَن عَرَفَ نَفسَهُ فَأعتَقَها، ونَزَّهَها عَن كُلِّ ما يُبَعِّدُها» أقول: أي أعتقها عن إسارة الهوى ورقية الشهوات. وفيه عنه (عليه السلام) قال: «أعظَمُ الجَهلِ جَهلُ الإِنسانِ أمرَ نَفسِهِ». وفيه، عنه (عليه السلام): قال: «أَعْظَمُ الْحِكْمَةِ مَعْرِفَةُ الإِنْسانِ نَفْسَهُ». وفيه، عنه (عليه السلام): قال: «أكْثَرُ النّاسِ مَعرِفَةً لنَفْسِهِ أخْوَفُهُم لرَبِّهِ». أقول: وذلك لكونه أعلمهم بربه وأعرفهم به، وقد قال الله سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾. وفيه، عنه (عليه السلام): قال: «أفضل العقل معرفة المرء بنفسه فمن عرف نفسه عقل، ومن جهلها ضل». وفيه عنه (عليه السلام): قال «عَجِبتُ لِمَن يُنشِدُ ضالَّتَهُ وقَد أضَلَّ نَفسَهُ فَلا يَطلُبُها» وفيه، عنه (عليه السلام) قال: «عَجِبْتُ لِمَنْ يَجْهَلُ نَفْسَهُ، كَيْفَ يَعْرِفُ رَبَّهُ؟»[٣٠].

ويتبين من ذلك أن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) حث الإنسان على التدبر والتفكر والتأمل بكل الآيات الموجودة في الكون ليبدأ من الإيمان بوجود خالق ومدبر عظيم ثم يعرض نتائج تفكيره على العقل لكي يكون إيمانه راسخًا وثابتًا ومن ثم يبدأ بالتفكير بأعظم خلق الله وهي

الأنفس حتى يصل إلى مرحلة اليقين بمعرفة الله تعالى وهذه ذروة المعرفة، وقال صدر المتألهين "علم النفس هو أمّ الحكمة وأصل الفضائل، وهي أمّ الصناعة ومعرفتها أشرف المباحث بعد إثبات المبدأ الأعلى ووحدانيته، والجاهل بمعرفتها لا يستحق أن يقع عليه اسم الحكمة وإن أتقن سائر العلوم، فالعلم المشتمل على معرفتها أفضل من غيره"(٣١).

وقال حسن زاده الآملي: "فمبحث النفس من غرر المباحث الحكمية في جميع الصحف العلمية. وألذّ المعارف وأعزّها بعد معرفةِ الله تعالى شأنه، معرفةُ الإنسان نفسه، وهي من أهمّ المعارف وأجلّها، كيف لا ومعرفتها أمّ الحكمة وأصلها، ومفتاح خزائن الملكوت، ومرقاة معرفة الرب، لكونها مثال مفطرها ذاتاً وصفة وفعلاً، ولا طريق إلى حصول معرفة الرب إلّا من معرفة الآفاق والأنفس. والمروي عن الوصي الإمام أمير المؤمنين علي (عليه السلام) والصورة الإنسانية هي أكبر حجج الله على خلقه، وهي الكتاب الذي كتبه بيده، وهي الهيكل الذي بناه بحكمته، وهي مجموع صور العالمين، وهي المختصرة من اللوح المحفوظ وهي الشاهدة على كل غائب، وهي الحجة على كل جاحد، وهي الطريق المستقيم إلى كل خير، وهي الجسر الممدود بين الجنة والنار"(٣٢).

ثالثًا: انواع التفكير السليم

١- التفكير الذي له علة غائية: هذا النوع من التفكير يهدف إلى ربط الإنسان بالخالق (جل وعلا) من خلال ربط كل تفصيل وحركة

ونشاط من حياته بالعلة النهائية التي من أجلها خلق الإنسان وهي عبادة الله تعالى، وبذلك تكون كل حركاته وسكناته موجهة بشكل كامل لتحقيق هذا الهدف الغائي، والذي يقيد هذا الهدف هو الفطرة التي فطر الإنسان عليها التي يجب أن تكون سليمة من الشوائب والانحرافات؛ لكي يحقق الإنسان هذا الهدف، وهذا ما يميز الإنسان المؤمن عن غيره.

إن عالم العبادة في نهج البلاغة عالم مليء بالحركة والمعرفة والسير والسلوك لأجل تزكية الروح وطهارتها، وما أسعد من يقدم إلى ذلك العالم - على العبادة - في نهج البلاغة! ليعلله نسيمه المحيي للأرواح والقلوب! فإن من يقدم إلى ذلك العالم لا يبالي بعد ذلك أن يضع رأسه في دنيا المادة على الحرير أو اللبنة، قال: «**طُوبَى لِنَفْسٍ أَدَّتْ إِلَى رَبِّهَا فَرْضَهَا، وَعَرَكَتْ بِجَنْبِهَا بُؤْسَهَا، وَهَجَرَتْ فِي اللَّيْلِ غُمْضَهَا، حَتَّى إِذَا غَلَبَ الْكَرَى عَلَيْهَا افْتَرَشَتْ أَرْضَهَا، وَتَوَسَّدَتْ كَفَّهَا، فِي مَعْشَرٍ أَسْهَرَ عُيُونَهُمْ خَوْفُ مَعَادِهِمْ، وَتَجَافَتْ عَنْ مَضَاجِعِهِمْ جُنُوبُهُمْ، وَهَمْهَمَتْ بِذِكْرِ رَبِّهِمْ شِفَاهُهُمْ، وَتَقَشَّعَتْ بِطُولِ اسْتِغْفَارِهِمْ ذُنُوبُهُمْ، ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾**»[٣٣].

٢- **التفكير التنبؤي**: هو التفكير الذي من خلاله يستطيع الإنسان أن يستقرئ المستقبل وأحداثه من خلال مقدمات الواقع الذي يعيشه على وفق ضوابط السنن الإلهية التي تتحكم بكل مسارات الحياة، فبعضهم قد أيده الله بالوحي وهم الأنبياء والرسل، وبعضهم يستشرف

المستقبل عن طريق السنن الإلهية التي تحكم شؤون الحياة وغيرها من السنن. ولقد استعمل أمير المؤمنين (عليه السلام) هذه الطريقة مع أتباعه في معركة النهروان التي قاتل فيها الخوارج؛ إذ انتشرت الإشاعات بين صفوف جيش الإمام (عليه السلام) أنّ الأعداء قد عبروا نهر النهروان وقد أخبروه بهذا الخبر أكثر من مرَّة، ولكن الإمام (عليه السلام) كان على بصيرة من أمره، فكان يقول لهم: «مَصَارِعُهُمْ دُونَ النُّطْفَةِ، وَاللهِ لا يُفْلِتُ مِنْهُمْ عَشَرَةٌ وَلا يَهْلِكُ مِنْكُمْ عَشَرَةٌ»[٣٤].

٣- **التفكير الناقد**: هو التفكير الذي يكتشف خطأ ما في فكرة أو اتجاه معين أو تناقض هذه الفكرة مع الأدلة الحسية أو العقلية. وهذا النوع يرتبط بإدراك الفرد نفسه والذي يتطلب تنميته ليكتسب مهارات عالية تمكنه من تشخيص الخلل أو التعارض عن طريق التفكير بشكل واضح ودقيق و"هو عملية ترتبط بذات الفرد المفكر، وتعتمد على التمعن في تحليل الموضوع أو المشكلة ممَّا يتطلب مهارات هذا النوع من التفكير بالوضوح والدقة وصحة الفكرة والعمق معايير تطبق على التفكير المنضبط"[٣٥]. و"أن التفكير الناقد يمكن أن يتوجه إلى الذات فيقوم الإنسان بمحاسبة نفسه والتفكير في أعماله وأقواله ونقدها على جهة العموم، وفي مواطن المصائب والشدائد على جهة الخصوص، ومن شأن هذا أن يقضي على التفكير التبريري الذي يكرس الخطأ ويحجب صاحبه عن المعالجة السديدة الواعية لنقصه

وقصوره"[٣٦]، وقال أمير المؤمنين (عليه السلام) «مَنْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِلنَّاسِ إِمَاماً فَلْيَبْدَأْ بِتَعْلِيمِ نَفْسِهِ قَبْلَ تَعْلِيمِ غَيْرِهِ وَلْيَكُنْ تَأْدِيبُهُ بِسِيرَتِهِ قَبْلَ تَأْدِيبِهِ بِلِسَانِهِ وَمُعَلِّمُ نَفْسِهِ وَمُؤَدِّبُهَا أَحَقُّ بِالْإِجْلَالِ مِنْ مُعَلِّمِ اَلنَّاسِ وَمُؤَدِّبِهِمْ»[٣٦].

٤- **التفكير الشمولي**: إن الوقوف على أرضية لفهم أبعاد حكومة الإمام علي (عليه السلام) ورصد استراتيجيته وأيديولوجيته على وفق المعطيات التاريخية يوقفنا عند حقيقة أن الحكومة في عهده كانت حكومة دينية متكاملة تعتمد على الرؤية الإلهية الشمولية لأبعاد الكون والإنسان والحياة، وأنه لا مجال لحكم العقل النظري والعملي من دون الرجوع إلى النص القرآني والنص النبوي، وهذا لا يعني بالضرورة عدم إعمال الاستشارة والخبروية البشرية من قبل المتخصصين في تلك الدولة وخصوصاً في المجال العسكري والإداري حيث تضمنت الوثيقة التي بعث بها الإمام علي (عليه السلام) إلى مالك الأشتر (رحمه الله) والي مصر، وهذا النوع من التفكير يتعلّق بدراسة جميع جوانب المشكلة أو أي ظاهرة معينة، وتكون دراسته مستوفية لكل جوانب الموضوع الحالية والنتائج المستقبلة أي المقدمات والنتائج والأسباب الظاهرية والباطنية التي تتعلق بالموضوع نفسه فيكون قادرًا على اتخاذ القرار بشكل صحيح، وأن يكون شاملًا لكل جوانب الموضوع ونتائجه، وبذلك لا يكون قراره متحيّزًا أو متبوعًا بانحراف عقائدي أو فكري.

٥- **التفكير المقارن**: هو التفكير الذي يستعمل المقارنة بين ضدين بشرط التقابل، مثل: الجنة والنار، والدنيا والآخرة، والمؤمن والكافر، وحزب الرحمن وحزب الشيطان، ويستعمل أيضًا بين منهجين متضادين أو نظريتين لتحديد نتائج عمل فريقين مختلفين. وهذا التفكير يرتبط بشكل مباشر بإرادة الإنسان وحرية الاختيار ليحدد اتجاه حياته ويتحمل نتائج مقدماته، والأمثلة كثيرة في القرآن الكريم، منها على سبيل المثال لا الحصر: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾[٣٨].

٦- **التفكير المنطقي**: هذا النوع من التفكير يؤدي فيه العقل دورًا كبيرًا ومؤثرًا، فهو يستخدم منهجية في ترتيب الأولويات التي تخص الموضوع أو الفكرة ترتيبًا منطقيًّا، ويكون ترتيبها على شكل متسلسل حيث تبدأ المرحلة الثانية من حيث انتهت المرحلة الأولى ولا تكون حركتها بمعزل عنها، وتكون نتائج هذا التفكير صحيحة وعقلية ويقينية؛ لأن مقدمتها قد بنيت على أساس صحيح. وأكد القرآن على هذا النوع لما له من تأثير بالغ على عقائد الناس لتكون ثابتة بشكل راسخ، ومثاله في القرآن: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[٣٩].

٧- **التفكير الإبداعي**: لقد حثَّ الإمام (عليه السلام) على هذا التفكير بل استعمل المكافأة والثواب حتى وإن أصابه خطأ لكي يحث الإنسان على استثمار قدراته العقلية وإبداعاته

ويبعده عن الجمود في جميع العلوم، وكان للمسلمون مساهمات كبيرة في جانب الإبداع في العلوم كافة، ومن مظاهر الإبداع النظر بما يتميز به القادة الذين تقع على عاتقهم مسؤولية التغيير والإتيان بنظرية جديدة تخالف المألوف، "ومن تلك المعارف ما اصطلح على تسميته بالتفكير الإبداعي، الذي هو أحد أنماط التفكير المركب، الذي يمكن الوصول إليه بعد إخضاع التفكير الأساسي لسلسلة من الأساليب التنموية المختلفة، التي من شأنها الرقي بذلك المستوى المتقدم من التفكير، وهذا هو منهج الإسلام، الذي اعتمده في خطابه للعقل الإنساني"[٤٠].

خامسا: التفكير السليم في نهج البلاغة:

إن عملية التفكير لها فضائل ومميزات كثيرة، فهي مفتاح الوصول بالعقل إلى مدارك ومعارف عظيمة، و "إن العقل في الإسلام جزء مهمّ من وجود الإنسانيّة، كما أن الإيمان أعمق بكثير من المعرفة، إنّه ميل وتسليم وخضوعٌ ومحبّة واعتقاد، ولا يكفي مجرّد العلم والمعرفة، وإن كانت أحد أركان الإيمان إلّا أنّها ليست كلّ الإيمان، فقد يعلم المرء بشيءٍ ولا يحبَّه ولا يميل إليه، فهل يُقال إنّه مؤمن به"[٤١]. وتعد هذه العملية مقدمة إلى مدارك اليقين والإيمان بالله تعالى؛ لأن التفكير السليم الذي يبدأ بمقدمات ومعطيات أساسية صحيحة بالتأكيد سيصل إلى نتائج صحيحة على الرغم من تنوع التفكير إلى صحيح وممنوع أو محرم، فالممنوع ما كان مجاله التفكير بالذات الإلهية وكنهه، أما

التفكير بالذات لإثبات وحدانية الله وعظيم صنعه، فإنه محمود وصحيح. فكان لابد من الانتقال بالتفكير خلال مراحل ومقدمات لغرض الوصول إلى الغاية السامية والنهائية وهي الإيمان بالله عز وجل. ولأن نهج البلاغة استمد بيانه وبلاغته من إمام معصوم وهو عِدْلُ القرآن الذي استمد هدايته وبلاغته من كتاب الله عز وجل وسنة نبيه الكريم عليه أفضل الصلاة وعلى آله الكرام، فكان من الطبيعي أن يهتم بما اهتم به القرآن الكريم ورسوله الكريم، فلذلك أخذت مهارة التفكير وآلياته حيزًا مهمًّا في خطب وحكم أمير المؤمنين (عليه السلام).

وقد وردت في نهج البلاغة خطبًا وحكمًا كثيرة في بيان قدرة الصانع وعجائب المصنوعات، وعند النظر إلى تنوع وتمام خلقته تعرف عظمة وقدرة الصانع، ولذلك ورد في نهج البلاغة حول قدرة الله وعظيم صنعه التي تستوجب من كل لبيب النظر والتأمل: «**الْحَمْدُ لله الَّذِي لَا يَبْلُغُ مِدْحَتَهُ الْقَائِلُونَ وَلَا يُحْصِي نَعْمَاءَهُ الْعَادُّونَ وَلَا يُؤَدِّي حَقَّهُ الْمُجْتَهِدُونَ الَّذِي لَا يُدْرِكُهُ بُعْدُ الْهِمَمِ وَلَا يَنَالُهُ غَوْصُ الْفِطَنِ الَّذِي لَيْسَ لِصِفَتِهِ حَدٌّ مَحْدُودٌ وَلَا نَعْتٌ مَوْجُودٌ وَلَا وَقْتٌ مَعْدُودٌ وَلَا أَجَلٌ مَمْدُودٌ فَطَرَ الْخَلَائِقَ بِقُدْرَتِهِ وَنَشَرَ الرِّيَاحَ بِرَحْمَتِهِ وَوَتَّدَ بِالصُّخُورِ مَيَدَانَ أَرْضِهِ**»[٤٢].

"وأمَّا قوله الذي لا يدركه فيريد أن همم النظار وأصحاب الفكر وإن علت وبعدت فإنها لا تدركه تعالى ولا تحيط به وهذا حق؛ لأن كل متصور فلا بد أن يكون محسوسًا أو متخيلًا أو موجودًا من فطرة النفس

والاستقراء يشهد بذلك، مثال المحسوس السواد والحموضة، ومثال المتخيل إنسان يطير أو بحر من دم، ومثال الموجود من فطرة النفس تصور الألم واللذة، ولما كان البارئ سبحانه خارجًا عن هذا أجمع لم يكن متصورًا. فأمَّا قوله الذي ليس لصفته حد محدود فإنه يعني بصفته هاهنا كنهه وحقيقته، يقول ليس لكنهه حد فيعرف بذلك الحد قياسًا على الأشياء المحدودة؛ لأنه ليس بمركب وكل محدود مركب. ثم قال: ولا نعت موجود أي ولا يدرك بالرسم كما تدرك الأشياء برسومها، وهو أن تعرف بلازم من لوازمها وصفة من صفاتها، ثم قال: ولا وقت معدود ولا أجل ممدود فيه إشارة إلى الرد على من قال إنا نعلم كنه البارئ سبحانه لا في هذه الدنيا بل في الآخرة، فإن القائلين برؤيته في الآخرة يقولون إنا نعرف حينئذ كنهه، فهو (عليه السلام) رد قولهم وقال: إنه لا وقت أبدا على الإطلاق تعرف فيه حقيقته وكنهه لا الآن ولا بعد الآن وهو الحق؛ لأنّا لو رأيناه في الآخرة وعرفنا كنهه لتشخص تشخصًا يمنع من حمله على كثيرين ولا يتصور أن يتشخص هذا التشخص إلّا ما يشار إلى جهته ولا جهة له سبحانه"[٤٣].

وذكر لبيب بيضون في تصنيف نهج البلاغة: "تنقسم معرفة الله تعالى إلى قسمين: الأول معرفة وجوده والإقرار بأنه واجب الوجود، وهذا واجب على كل إنسان، ويتم إدراك عظيم صنعه وقدرته عن طريق آلائه وآثاره في خلقه، وتتم هذه المعرفة بالعقل والتفكير وليس

بالتبعية والتقليد. والثاني معرفة كنهه وإدراك حقيقة ذاته، وهذا محال على المخلوق لمحدودية حواسه عن إدراك عظمة الخالق، وقد ورد في الحث على التفكير في مخلوقات الله والنهي عن التفكير في ذات الله"(٤٤).

وبيَّن أمير المؤمنين (عليه السلام) في نهج البلاغة أهمية الفكر وضرورة استناده على أسس علمية وارتباطه بالعلم ارتباطًا وثيقًا ليكون التفكير سليمًا: «الْعِلْمُ وِرَاثَةٌ كَرِيمَةٌ وَالْآدَابُ حُلَلٌ مُجَدَّدَةٌ وَالْفِكْرُ مِرْآةٌ صَافِيَةٌ»(٤٥).

وقال ابن أبي الحديد: "وقال العلم وراثة كريمة، والآداب حلل مجددة، والفكر مرآة صافية، إنما قال العلم وراثة؛ لأن كل عالم من البشر إنما يكتسب علمه من أستاذ يهذبه وموقف يعلمه فكأنه ورث العلم عنه كما يرث الابن المال عن أبيه، وقد سبق منا كلام شاف في العلم والأدب. وكان يقال عطية العالم شبيهة بمواهب الله عز وجل؛ لأنها لا تنفد عند الجود بها وتبقى بكمالها عند مفيدها. وكان يقال: الفضائل العلمية تشبه النخل بطيء الثمرة بعيد الفساد. وكان يقال ينبغي للعالم ألّا يترفع على الجاهل، وأن يتطامن له بمقدار ما رفعه الله عليه وينقله من الشك إلى اليقين ومن الحيرة إلى التبيين؛ لأن مكافحته قسوة والصبر عليه وإرشاده سياسة. ومثاله قول بعض الحكماء: الخير من العلماء من يرى الجاهل بمنزلة الطفل الذي هو بالرحمة أحق منه بالغلظة ويعذره بنقصه فيما فرط منه ولا يعذر نفسه في التأخر عن هدايته"(٤٦).

وفي حديث آخر لأمير المؤمنين (عليه السلام) «الْفِكْرُ مِرْآةٌ صَافِيَةٌ

وَالِاعْتِبَارُ مُنْذِرٌ نَاصِحٌ وَكَفَى أَدَباً لِنَفْسِكَ تَجَنُّبُكَ مَا كَرِهْتَهُ لِغَيْرِكَ»[٤٧].

والاعتبار بالأمم السالفة وحوادث الماضين من أهم الأسس والمعطيات الأولية للتفكير السليم، فإن فيها من العبر والتجارب ما يغني عن التفكير الصحيح والسليم لتجنب الموانع التي تعيق وضوح منهج التفكير. وقد ورد في بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة للشيخ محمد تقي التستري: "الفكر مرآة صافية في (الكافي) سئل الصادق (عليه السلام) عمَّا يروى أن تفكر ساعة خير من قيام ليلة كيف يتفكر؟ قال: يمر بالخربة أو الدار فيقول: أين ساكنوك؟ أين بانوك؟ مالك لا تتكلمين؟ والاعتبار منذر ناصح ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾"[٤٨].

وقال (عليه السلام): «لَا مَالَ أَعْوَدُ مِنَ الْعَقْلِ وَلَا وَحْدَةَ أَوْحَشُ مِنَ الْعُجْبِ وَلَا عَقْلَ كَالتَّدْبِيرِ وَلَا كَرَمَ كَالتَّقْوَى وَلَا قَرِينَ كَحُسْنِ الْخُلُقِ وَلَا مِيرَاثَ كَالْأَدَبِ وَلَا قَائِدَ كَالتَّوْفِيقِ وَلَا تِجَارَةَ كَالْعَمَلِ الصَّالِحِ وَلَا رِبْحَ كَالثَّوَابِ وَلَا وَرَعَ كَالْوُقُوفِ عِنْدَ الشُّبْهَةِ وَلَا زُهْدَ كَالزُّهْدِ فِي الْحَرَامِ وَلَا عِلْمَ كَالتَّفَكُّرِ وَلَا عِبَادَةَ كَأَدَاءِ الْفَرَائِضِ وَلَا إِيمَانَ كَالْحَيَاءِ وَالصَّبْرِ وَلَا حَسَبَ كَالتَّوَاضُعِ وَلَا شَرَفَ كَالْعِلْمِ وَلَا مُظَاهَرَةَ أَوْثَقُ مِنَ الْمُشَاوَرَةِ»[٤٩]. ورد في بهج الصباغة: "ولا علم كالتفكر في (الكافي) عن الصادق (عليه السّلام) «أَفْضَلُ

الْعِبَادَةِ إِدْمَانُ التَّفَكُّرِ فِي اللهِ وَفِي قُدْرَتِهِ». وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) «التفكر يدعو إلى البر والعمل به، نبه بالتفكر قلبك وجاف عن الناس جنبك واتق الله ربك». وفي الخبر: (التفكر مرآتك تريك سيئاتك وحسناتك)"[٥٠].

حدود معرفة الله في نهج البلاغة:

تختلف الطرق للوصول إلى معرفة الله تعالى عن الطرق والوسائل لتحصيل المعارف التجريبية الأخرى اختلافاً جذريًّا، والسبب أن أي موضوع يكون في مقام الدراسة الغرض منه الوصول إلى حقائق ذلك الموضوع. أمَّا الذي يسعى لمعرفة الله تعالى، وهو خالق كل شيء، والمحيط بكل الأمور، فسيكون من المحال الوصول إلى معرفته إلّا بحدود مستوى الفكر السليم الذي يمتلكه الفرد ونقائه وقربه من الله والطاقة العقلية التي منحها الله إياه، والوصول إلى حقائق أي موضوع يستلزم دراسة جزئياته أولًا، لغرض معرفة الحقيقة كليًّا، وهذا محال بالنسبة إلى الله؛ لأنه لا يوجد أي سبيل علمي كالاستقراء والاستنباط والتعليل والبرهنة وغيرها يؤدي إلى المعرفة الكاملة بالله (عز وجل)، بل الطريق إلى معرفة الله تعالى تبدأ من النفس الإنسانية، وهي عكس معرفة الأشياء، حيث تبدأ في خارج النفس عن طريق الأدوات الحسية ثم بعد ذلك تصبح نظريات وأحيانا حقائق لتستبطن داخل النفس الإنسانية، وقد سأل ذعلب اليماني أمير المؤمنين (عليه السلام) «هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَقَالَ: (عليه السلام) أَفَأَعْبُدُ مَا لاَ أَرَى فَقَالَ وَكَيْفَ تَرَاهُ

قَالَ لاَ تُدْرِكُهُ اَلْعُيُونُ بِمُشَاهَدَةِ اَلْعِيَانِ وَلَكِنْ تُدْرِكُهُ اَلْقُلُوبُ بِحَقَائِقِ اَلْإِيمَانِ»[٥١]، فالرؤية هنا لا تكون بأحد الحواس الخمس وهو البصر إنما تكون رؤيته بالبصيرة، وهي من حقائق الإيمان ونور يقذفه الله في قلب العبد، لتتجلى في قلبه حب الخالق (عز وجل) وعظمته وقدرته، وتصبح رؤيته واقعًا بعد النظر والتأمل والتدبر في مخلوقات الله، ليصل القلب إلى درجة اليقين بوجود الصانع لهذه المخلوقات، ويصبح حقيقة في باطن النفس الإنسانية، «قَرِيبٌ مِنَ اَلْأَشْيَاءِ غَيْرَ مُلاَمِسٍ مُلاَبِسٍ بَعِيدٌ مِنْهَا غَيْرَ مُبَايِنٍ مُتَكَلِّمٌ بِلاَ رَوِيَّةٍ لاَ بِرَوِيَّةٍ مَرِيدٌ لاَ بِهِمَّةٍ صَانِعٌ لاَ بِجَارِحَةٍ لَطِيفٌ»[٥٢]، فهو قريب من جميع الموجودات ليس كقرب الأجسام من بعضها، فالله ليس بجسم حتى يتصف بالبعد والقرب المادي للأجسام إنما قريب منها لعلمه بها، كما قال الله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ﴾[٥٣]، ولا يكون بعيدًا عن الأشياء بعدًا ماديًّا إنما لاختلافه عن خلقه، فهو لا يوصف بظروف الزمان والمكان، أين، متى، ولقد رسم أمير المؤمنين (عليه السلام) لنا معلمًا واضحًا في اتجاه المعرفة الإلهية التي تبدأ بتنقية النفس ومقدار حب الله تعالى في قلبه، بحيث تكون معرفة الله تعالى في قلب الإنسان مقدار حبه لله تعالى، وهذه المعرفة تجلّت في قلوب الأنبياء والأوصياء، فقد امتلك حب الله كل جوارحهم وكانوا حقًّا عارفين بالله (عز وجل).

المبحث الثالث: صفات التوحيد

إن التوحيد كما ورد عن بعض

العلماء على ثلاثة أوجه، منها التوحيد على الشواهد، وهو توحيد العامة من الخلق والشواهد هي الآيات الكونية والآفاقية والأنفسية الّتي يستدلّ بها على الخالق والصانع والّتي يستدلّ بها العلماء بالنظر والفكر والتأمل في براهين العقل، فتوحيد العامّة إنّما يصحّ بالاستدلال مثل قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[٥٤]، وهو توحيد ظاهري. أما الوجه الثاني من التوحيد وهو توحيد الخاصة، فهو التوحيد على الحقائق ولا يكتفي بالشواهد فقط بحيث لا يرى سوى الله مؤثرًا وفاعلًا. أما الوجه الثالث فقد اختص بعلمه فقط ومن منحهم الله وهم صفوته وما قدروا الله حق قدره.

إن موجبات عدم تجلي الله لخلقه لعدم استطاعة المجودات لتحمل تجليه لهم، ويبدو ذلك واضحاً من طلب موسى (عليه السلام) رؤية ربه، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٥٥].

١ - الوحدانية في السعة والإحاطة:

السعة هي الكبر والامتداد في أبعاد الموجود الوجودية، فكلما كبرت وامتدت أبعاد الموجود في وجوده كلما صار ممتنعاً على الحواس أن تستجليه؛ لأن قدرة الحواس لها طيف ثابت وقدرة محدودة لا يمكنها أن تستوعب كل أبعاد الوجود، والإحاطة هي شمول الموجود بوجوده لموجودات أخرى، وكلما كان الموجود محيطاً كلما

صعب تجليه. والحواس لا يمكنها أن تحيط أو تسع كل الموجودات الجزئية فكيف يمكنها أن تسع أو تحيط بالوجود الكامل الذي وسعت رحمته كل شيء وأحاط علمه بكل موجود.

٢- الوحدانية في الصمدية:

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «مَا وَحَّدَهُ مَنْ كَيَّفَهُ، وَلا حَقِيقَتَهُ أَصَابَ مَنْ مَثَّلَهُ، وَلا إِيَّاهُ عَنَى مَنْ شَبَّهَهُ، وَلا صَمَدَهُ مَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ وَتَوَهَّمَهُ»[٥٦]، "إذا قلت: كيف فلان؟ فإنك لا تسأل عن ذاته، بل عما يعرض لها من الأحوال كالعسر واليسر، والصحة والسقم، ومعنى هذا أن الذات المسؤول عنها محل للأحداث، وأنها تتغير وتتبدل من حال إلى حال. والله سبحانه واحد وكامل من كل وجه يستحيل في حقه التغيير والتحويل؛ لأنه فوق الأشياء، وخالق الأحوال والأحداث، قال الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) الكيف مخلوق، والله لا يوصف بخلقه، وقال الإمام الصادق (عليه السلام): من نظر إلى الله كيف هو فقد هلك.

وقوله (عليه السلام): (وَلا حَقِيقَتَهُ أَصَابَ مَنْ مَثَّلَهُ). كل صورة ترسمها في خيالك فهي صورة لجسم يرى ويحس وإلّا استحال الرسم والتشخيص، وهل يوجد ظل وشبح لغير المادة؟. والله سبحانه منزّه عن ذلك. قال الملا صدرا: إن كان ما تصورته لذات الله مطابقًا للواقع يلزم أن يكون الله جسمًا محدودًا، وهو محال، وإن لم يطابق فهو كذب وسراب. (وَلا إِيَّاهُ عَنَى مَنْ شَبَّهَهُ)؛ لأنه لا شبيه له ولا ضد. (وَلا صَمَدَهُ مَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ وَتَوَهَّمَهُ). كل الإشارات بشتى

أنواعها لا تكون إلّا للمحسوسات، والله فوقها ومنزّه عنها، وفي كلمات أهل البيت (عليهم السلام): إن أوهام العقول أدق من أبصار العيون، وأوهام العقول لا تدرك الله فكيف بأبصار العيون؟"[٥٧]. ومعنى ولا صمده من أشار إليه وتوهمه أي من تصور الله جسمًا يمكن الإشارة إليه توهمًا، فيمكن أن يجزّأ هذا الجسم ويمكن أن يتم تركيبه أيضًا، وهذا ينافي الصمدية التي لا تقبل التجزئة ولا تقبل التركيب. وهذا ما يؤيد قول أمير المؤمنين (عليه السلام): «كَمَالُ تَوْحِيدِهِ الإِخْلاصُ لَهُ، وَكَمَالُ الإِخْلاصِ لَهُ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ، لِشَهَادَةِ كُلِّ صِفَةٍ أَنَّهَا غَيْرُ المَوْصُوفِ، وَشَهَادَةِ كُلِّ مَوْصُوفٍ أَنَّهُ غَيْرُ الصِّفَةِ، فَمَنْ وَصَفَ اللهَ سُبْحَانَهُ فَقَدْ قَرَنَهُ، وَمَنْ قَرَنَهُ فَقَدْ ثَنَّاهُ، وَمَنْ ثَنَّاهُ فَقَدْ جَزَّأَهُ، وَمَنْ جَزَّأَهُ فَقَدْ جَهِلَهُ [وَمَنْ جَهِلَهُ فَقَدْ أَشَارَ إِلَيْهِ]، وَمَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ فَقَدْ حَدَّهُ، وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ،...»[٥٨]. فإن الكثير من الموجودات يتم الإحساس بها؛ لأنها تقبل التجزئة والتركيب على الرغم من عدم تجليها للعين البشرية أمثال القوة والحركة وغيرها، فيتم الإحساس بها من خلال آثارها التي قد تكون عقلية أو حسية والتي تظهر على الأجسام التي تؤثر فيها؛ لأنها لا تتصف بالكمال والسرمدية، لكن الصمد الذي يتصف بالكمال من الصعب الإحساس به؛ لأنه لا يتجزأ ولا يركب ولا تحيطه أوهام الإنسان القاصر.

٢- الوحدانية في الديمومة:

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «الْحَمْدُ للهِ الأَوَّلِ فَلاَ شَيْءَ قَبْلَهُ، وَالآخِرِ

فَـلاَ شَيْءَ بَعْـدَهُ، وَالظَّاهِـرِ فَـلاَ شَيْءَ فَوْقَـهُ، وَالْبَاطِـنِ فَـلاَ شَيْءَ دُونَـهُ»[٥٩].

هنا بيَّن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) أن الله (عز وجل) هو الأول قبل كل المخلوقات وليس بصنع صانع أو قدرة خالق ويبقى بعد زوال المخلوقات وفنائها وتبقى صفة الديمومة وثباتها متعلقة به «... الْأَوَّلِ قَبْـلَ كُلِّ أَوَّلٍ وَالْآخِـرِ بَعْـدَ كُلِّ آخِـرٍ وَبِأَوَّلِيَّتِهِ وَجَبَ أَنْ لَا أَوَّلَ لَهُ وَبِآخِرِيَّتِهِ وَجَبَ أَنْ لَا آخِرَ لَهُ»[٦٠]، وعلى الرغم من أنه عز وجل الأول لكن ليس من ابتداء كباقي الموجودات حين تكوين وجودها، إذ لابد لها من بداية، وليس الآخر يعني له نهاية. نلاحظ أن جميع الموجودات لا تملك الديمومة السرمدية إلى ما لا نهاية لأنها لا تملك عناصر ديمومتها، لذلك يمكن الإحساس والشعور بها حتى وإن لم تكن رؤيتها بحاسة البصر، وهناك أمثلة كثيرة في حياتنا الدنيوية، كما في شعور الأبناء بالأمان بوجود الوالدين أثناء حياتهما، فالأمان أحد المخلوقات، ولكن الأبناء لا يشعرون بفقد الأمان إلّا بعد رحيل الوالدين، والسبب أن الأمان لا يملك الديمومة للاستمرار ولأن ديمومته جزئية وليست مطلقة، وكذلك وجود الجاذبية على الرغم من تملكها الديمومة والقدرة والسلطان على المجودات في الأرض وأنها غير محسوسة، فإن الإنسان لا يشعر بها بل يتجاهلها وعدم الإحساس بها؛ لأنها تملك من عناصر ديمومتها الجزئية والقوة يكون من الصعب الإحساس بها وتجليها. فكل موجود يملك عناصر ديمومته يصعب الإحاطة

به على الرغم من جزئية ديمومته، فكيف يتجلّى المستديم المطلق الذي يملك كل عناصر الديمومة وقوتها واستطاعتها، فهو الأول بلا ابتداء والآخر ليس له نهاية.

٣- الوحدانية في القوة والسلطان:

يقول الإمام علي (عليه السلام): «كُلُّ شَيْءٍ خَاشِعٌ لَهُ، وَكُلُّ شَيْءٍ قَائِمٌ بِهِ»[٦١]. إن جميع المخلوقات في هذا الكون تخضع لقانون التبعية؛ لأنها لا تملك القوة والسلطة على باقي الموجودات، فهي تتجلّى وتتحرك وتؤثر بسلطان غيرها وخاضعة لقدرة أكبر منها، ومن أمثلتها أن الكثير من الأحاسيس البشرية على الرغم من عدم تجليها لكنها تملك قدرة محدودة وسلطان محدود مثل العطش والنوم والحب وغيرها، فإنها تملك سيطرة وقدرة محدودة على الإنسان، لكنها بالمقابل تخضع لقانون التبعية وهي صغيرة ومقدور عليها وتجليها مرهون بمدى قوتها واستطاعتها، فمتى كان الموجود يمتلك قوة واستطاعة كبيرة يصعب تجليه للنفس البشرية. لكن الله عز وجل هو متفرد بالملك، والهيمنة بسلطان القوة والعظمة وأنه سبحانه وتعالى المهيمن بالسلطان الذي لا يقهر، ويكون تجليه سبحانه وتعالى مستحيلاً: «المُتَجَلِّي لِخَلْقِهِ بِخَلْقِهِ، وَالظَّاهِرِ لِقُلُوبِهِمْ بِحُجَّتِهِ»[٦٢].

٤- الوحدانية في الثبات:

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) في وصف الثبات لله تعالى: «الْحَمْدُ للهِ الَّذِي لَمْ تَسْبِقْ لَهُ حَالٌ حَالًا»[٦٣]، هناك علاقة جدلية بين الثابت والمتغير، وهما صفتان متضادتان، فالموجود الثابت يملك خاصية الاستقرار

لكنه لا يعني الجمود؛ لأنه لا يمكن أن تتغير أطواره على مدار الزمن وتحت أي مؤثرات، لذلك يكون من الصعب أن يتجلى ويتم الإحساس به، وأن الكثير من الموجودات تملك خاصية الثبات وعدم تغيير طورها خلال فترة من الزمن، فالطاقة الموجودة داخل الكائنات على الرغم من عدم الإحساس والشعور بها وعدم تجليها، فإنها تملك ثبات في طورها لفترة معينة من الزمن لكنه يتغير طورها بتغير المؤثرات الفيزياوية، لكن الثابت الدائم وهو الله تعالى، فهو الثابت من غير جمود وحاله يبقى ولا يعتريه التغيير.

الخاتمة

١. لقد بيَّن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في نهج البلاغة أن معرفة الله عز وجل أفضل المعارف التي تزيد العبد يقينًا وإيمانًا، وفي نهج البلاغة بيَّن أهمية التفكير وحث على العمل به وأعطى الإنسان المفكر منزلة وبيانًا يستطيع بها الوصول إلى العلة والغاية النهائية.

٢. لقد عرف التفكير بأنه عملية طبيعية يقوم بها الإنسان إلّا أنها مهارة تحتاج إلى التطوير، وهو عبارة عن سلسلة من النشاطات العقلية التي يقوم بها الدماغ عندما يتعرض لمثير يتم استقباله عن طريق الحواس الخمس، وعند تعرضه إلى هذا المثير يقوم بتحليله في العقل والإدراك.

٣. عدَّ الإمام (عليه السلام) في نهج البلاغة أن التفكير فريضة إسلامية تدعو المسلم إلى التأمل والتفكير في كل ما يقع عليه البصر، وتدركه البصيرة، والعقل الذي يخاطبه الإسلام هو العقل الذي

يعصم الضمير ويدرك الحقائق ويميز بين الأمور ويتبصر ويتدبر ويسهم في تحقيق الإبداع الإداري والتقدم الحضاري والوصول إلى الهدف النهائي من علة خلق الإنسان.

٤. تنوع الأساليب التي استعملت في نهج البلاغة لتفعيل عملية التفكير منها الحث والذم والتشدد في محاربة عوائق التفكير.

٥. اتبع الإمام (عليه السلام) في نهج البلاغة تدرجًا منطقيًّا في تنمية التفكير وتوسيع الإدراك والقدرة على استخدام العقل. وتنوع المجالات التي طرح عن طريقها التفكير وبيان حدوده من خلال الآيات الكونية والآفاقية والسنن التاريخية والآيات الأنفسية.

٦. وضع أصولًا ومبادئ لغرض الإنطلاق بعملية التفكير الصحيح الذي تكون نتائجه مقاربة للحق وبعيدة عن الضلالة. وحث في نهج البلاغة الإنسان بوصفه جزءًا من مجتمع إسلامي على النظر والتأمل والتدبر والتفكير في آيات الله واستخدام قدراته العقلية. وربط تطور الأمة الإسلامية بمقدار استثمار قدراتها العقلية. وبيان أن النفس الإنسانية هي أعظم خلق الله والتفكر في تكوينها هو أعلى مراحل التفكير. وحث الإنسان على التفكير الإبداعي المنطقي الذي يكون له علة غائية.

الهوامش:

١- العنكبوت: ٢٠.

٢- عباس علي الموسوي، نهج البلاغة، خطبة ١، ص ٢٤.

٣- الغاشية: ١٧.

٤- عباس علي الموسوي، نهج البلاغة، خطبة١٦٥، ص ٣٦٢.

٥- الطارق: ٥- ٧.

٦- عباس علي الموسوي، نهج البلاغة، خطبة ١، ص ٢٧.

٧- القادر محمود، البكار، تكوين المفكر، ص ٢٦.

٨- أبو نصر إسماعيل بن حماد، الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج٢، ص ٥٠١.

٩- أبو الحسن أحمد بن زكريا، ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج ٤، ص ٤٤٦.

١٠- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، ابن منظور، لسان العرب، ج٥، ص ٦٥.

١١- العلّامة أحمد بن محمد المقرئ، الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ج٢، ص ٤٧٩.

١٢- مجد الدين محمد بن يعقوب، الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ج٢، ص ١١٥.

١٣- إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ج٢، ص ٧٠٥.

١٤- د. فتحي عبد الرحمن، جروان، تعليم التفكير، ص ٣٣.

١٥- المصدر نفسه، ص ٤٣.

١٦- زهير، الكرمي، الإنسان والتعليم، ص ٧٧.

١٧- د. فؤاد، زكريا، التفكير العلمي، ص ٦.

١٨- المصدر نفسه، ص ١٣.

١٩- د. أحمد عزت، راجح، أصول علم النفس، ص ٢٧١.

٢٠- فلاح، العابدي. سعد، البخاتي، مناهج التفكير، ص ٢٩.

٢١- فلاح، العابدي. سعد، البخاتي، مناهج التفكير، ص ٧.

٢٢- عباس علي الموسوي، نهج البلاغة،

حكمة ١٠٦، ص ٧٥٦.
٢٣- عباس علي الموسوي، نهج البلاغة، كتاب ٧٩، ص ٧٢٧.
٢٤- محمد حسين، الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج٤، ص ٢٢.
٢٥- محمد راتب، النابلسي، مقومات التكليف، ص ٣١ و٣٢ (بتصرف).
٢٦- محمد راتب، النابلسي، مقومات التكليف، ص١٥.
٢٧- عباس علي الموسوي، نهج البلاغة، خطبة١٦٥، ص ٣٦٢.
٢٨- عباس علي الموسوي، نهج البلاغة، خطبة ١، ص٢٧.
٢٩- محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج٦، ص ١٦٩.
٣٠- محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج٦، ص ١٧١- ١٧٣.
٣١- صدر المتألهين، الشيرازي، شرح الهداية الأثيرية، ص٧.
٣٢- حسن زاده، آملي، عيون مسائل النفس وسرح العيون في شرح العيون، ص ٣٧.
٣٣- عباس علي الموسوي، نهج البلاغة، كتاب ٤٥، ص٦٥٢.
٣٤- عباس علي الموسوي، نهج البلاغة، خطبة ٥٩، ص١٢٢.
٣٥- حسن، مختار، دور المعلم في تنمية قدرة التفكير الناقد لدى الطالب، ص٤٨.
٣٦- خليل بن عبد الله بن عبد الرحمن، الحيدري، منهجية التفكير العلمي في القرآن، ص١٣١.
٣٧- عباس علي الموسوي، نهج البلاغة، حكمة ٧٣، ص٧٤٧.
٣٨- الأعلى: ١٦- ١٧.
٣٩- آل عمران: ٦٥.
٤٠- صلاح بن عبد الله، الشريف، التفكير الإبداعي عند الدعاة، ص٢.
٤١- مرتضى، مطهري، المدارس الفكرية للإنسان الكامل، ص١٥.
٤٢- عباس علي الموسوي، نهج البلاغة، خطبة ١، ص ١٩.
٤٣- محمد إبراهيم، ابن أبي حديد، شرح

نهج البلاغة، جزء ١، ص ٣٧.

٤٤- لبيب بيضون، تصنيف نهج البلاغة، ص ٦١ (بتصرف).

٤٥- عباس علي الموسوي، نهج البلاغة، حكمة ٥، ص ٧٣٢.

٤٦- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، جزء ١٨، ص ٢٣٨.

٤٧- عباس علي الموسوي، نهج البلاغة، حكمة ٣٦٥، ص ٨٢٤.

٤٨- محمد تقي، التستري، بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، المجلد ١٤، ص ٥٩٥- ٥٩٦.

٤٩- عباس علي الموسوي، نهج البلاغة، حكمة ١١٣، ص ٧٥٩.

٥٠- محمد تقي التستري، بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، المجلد ١٤، ص ٢٦٢.

٥١- عباس علي الموسوي، نهج البلاغة، خطبة ١٧٩، ص ٣٩٧.

٥٢- عباس علي الموسوي، نهج البلاغة، خطبة ١٧٩، ص ٣٩٧.

٥٣- المجادلة: ٧.

٥٤- الأنبياء: ٢٢.

٥٥- الأعراف: ١٤٣.

٥٦- عباس علي الموسوي، نهج البلاغة، خطبة ١٨٦، ص ٤٢١.

٥٧- مغنية، محمد جواد، في ظلال نهج البلاغة، الجزء ٣، ص ٦٧.

٥٨- عباس علي الموسوي، نهج البلاغة، خطبة ١، ص ١٩.

٥٩- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، جزء ٧، ص ٦٧.

٦٠- عباس علي الموسوي، نهج البلاغة، خطبة ١٠١، ص٢٢٥.

٦١- عباس علي الموسوي، نهج البلاغة، خطبة ١٠٩، ص ٢٤٧.

٦٢- عباس علي الموسوي، نهج البلاغة، خطبة ١٠٨، ص ٢٤١.

٦٣- عباس علي الموسوي، نهج البلاغة، خطبة ٦٥، ص ١٢٦.

المصادر:

القرآن الكريم

١- ابن أبي حديد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، شرح نهج البلاغة، بغداد، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م.

٢- ابن فارس، أبو الحسن أحمد بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م.

٣- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، بيروت، دار صادر، دار الفكر، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.

٤- البكار، عبد القادر محمود، تكوين المفكر، القاهرة، دار السلام للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، ٢٠١٠م.

٥- التستري، محمد تقي، بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، طهران، دار أمير كبير للنشر، ١٩٩٧م.

٦- الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٧م.

٧- الحيدري، خليل بن عبد الله بن عبد الرحمن، منهجية التفكير العلمي في القرآن، بحث مكمل لدرجة الدكتوراه في الأصول الإسلامية للتربية، جامعة أم القرى.

٨- الشريف، صلاح بن عبد الله، التفكير الإبداعي عند الدعاة، بحث تكميلي ضمن متطلبات الماجستير الموازي في قسم الدعوة والاحتساب، كلية الدعوة والإعلام، ١٤٣٣هـ.

٩- الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، مطبعة سليمان زاده، ١٤٢٦هـ.

١٠- الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، بيروت، لبنان، منشورات الأعلمي للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.

١١- العابدي، فلاح. البخاتي، سعد، مناهج التفكير، أكاديمية الحكمة العقلية، دار الغدير للنشر، الطبعة الأولى، ٢٠١٥م.

١٢- الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، بيروت، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، الطبعة ٨، ٢٠٠٥م.

١٣- الفيومي، العلامة أحمد بن محمد المقرئ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لبنان، المكتبة العلمية، ١٩٨٧م.

١٤- الكرمي، زهير، الإنسان والتعليم، دار الهلال، ١٩٩٥م.

١٥- آملي، حسن زاده، عيون مسائل النفس وسرح العيون في شرح العيون، طهران، مؤسسة انتشارات أمير كبير.

١٦- الموسوي، عباس علي، نهج البلاغة، بيروت، لبنان، دار الهادي، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٩م.

١٧- النابلسي، محمد راتب، مقومات التكليف، دمشق، دار المكتبي، الطبعة الاولى، ٢٠٠٥م.

١٨- بيضون، لبيب، تصنيف نهج البلاغة، قم، مكتب الإعلام الإسلامي للنشر، الطبعة الثالثة، ١٤١٧هـ.

١٩- جروان، د. فتحي عبد الرحمن، تعليم التفكير، الإمارات، دار الكتاب الجامعي، ١٩٩٩م.

٢٠- راجح، د. أحمد عزت، أصول علم النفس، القاهرة، دار الكتاب العربي للنشر، الطبعة السابعة، ١٩٦٨م.

٢١- زكريا، د. فؤاد، التفكير العلمي، عالم المعرفة، ١٩٨٧م.

٢٢- مختار، حسن، دور المعلم في تنمية قدرة التفكير الناقد لدى الطالب.

٢٣- مصطفى، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، طهران، المكتبة العلمية.

٢٤- مطهري، مرتضى، المدارس الفكرية للإنسان الكامل، مركز نون للتأليف للترجمة، جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، ٢٠١١م.

٢٥- مغنية، محمد جواد، في ظلال نهج البلاغة، بيروت، دار العلم للملايين، الطبعة الثالثة، ١٩٧٩م.